

الفصل الرابع

الفنون الشعرية

- شعر الطبيعة
- المعارضة في الشعر الأندلسي
- تعدد القوافي
- الزجل
- الموشحات
- اثر الأدب الأندلسي على الأدب الأوربي

الفصل الرابع

الفنون الشعرية

شعر الطبيعة

تعد بلاد الاندلس من البقاع الجميلة، وقد وهبها الله تعالى من جمال وخضرة واعتدال وكثرة الانهار والينابيع والجبال والارض المنبسطة الخضرة، لذلك قال ابن سعيد " انها جزيرة قد احدثت بها البحار فاكثرت فيها الخصب والعمارة من كل جهة، فمتى سافرت من مدينة لا تكاد تنقطع من العمارة ما بين قرى ومياه ومزارع... وان قراها في نهاية الجمال لتصنع اهلها في أوضاعها وتبويضها لئلا تندبو العيون عليها... وكانت فيها أربعة أنهار طويلة تصب في المحيط وأربعة أنهار تصب من البحر المتوسط، وأضفت هذه الانهار الخضرة الدائمة والهواء المعتدل، وكانت اكثرها صالحة للملاحة، تصعد عليها القوارب بين المدن المختلفة للذقل والنزهة وعلى متنها اعالي القوم ليتمتعوا بجمال الطبيعة ومفاتنها وما بها من الروعة والسحر، وغالباً ما كانت جلسات الطرب والشرب تعقد عليها في ليالي الصيف وتحت اضواء القمر ولمعان النجوم، كما كانت تتميز بكثرة المرتفعات مع تعدد مساقط المياه، ووجود انهار جوفية قد تطفو على سطح في بعض المنخفضات مكونة بحيرات جميلة، قد ينصب عليها النواعير فيحيلها الى جنة خضراء لذلك قال ابن خفاجة^(١).

يا أهل أندلس لله دَرَكَم ماءٌ وظلٌّ وانهارٌ وأشجارٌ
ما جنة الخلد إلا في دياركم ولو تخيرت هذا كنت اختار
لا تخشوا بعد ذا ان تدخلوا سقراً فليس تدخل بعد الجنة النارُ

^١ ديوان ابن خفاجة : رقم ٣٠١ .

لذلك استحوذ جمال الاندلس على حواسهم وجوارحهم، واصبحت الطبيعة الملمح الأول لهم، والباعث الأكبر على الإبداع، وان جمالها ومفاتها أجبر الاندلسي ان يتلاحم معها وان يرهف إحساسه ويحس بالجمال، فأصبحت الطبيعة شغل الناس جميعاً خاصتهم وعامتهم، وكانت الشخصية الاندلسية تذوب وتتلاشى كلما التقت بالطبيعة وتدفعها الى الاستجابة والاستمتاع بها.

وقد ملأت الطبيعة النفوس وسحرت المشاعر وسيرت الطباع وهذبت النفوس وغلفتها بالفرح والفكاهة وغذتها بطرق العيش والمتعة والتسلية في عامة الناس، فان الشعراء هم اصحاب الحس الرهيف والذوق الرفيع والخيال الخصب كانت استجابتهم لجمالها ومفاتها وسحرها اشد، فأصبحت الوسادة الخضرة والروح النفاذة الى مخيلتهم لذلك هامت بها نفوسهم وتعلقت بها قلوبهم.

ومن جانب آخر ساهمت الطبيعة في تنامي الحياة اللاهية والمرح والفكاهة وفي ربوعها استسلم الشعراء للهو والحب والخمر واخذوا يصورون مجالسها في اطار الطبيعة ممزوجة بالعبير والاصباغ والالوان في كل بهجة ونشوة مع الجواري المائسات الجميلات اللاتي يتصفن بسحر وجمال واناقة، وقد ابدع الخالق وتفنن العبد.

لذلك قال ابن خفاجة^(١):

فما الأنس إلا في مجاج زجاجةٍ ولا العيش إلا في صرير سرير
واني وان جئتُ المشيبَ لمولعٍ بطّرة ظلٍ فوق وجه غدير

لذلك عرفوا برقة الطبع وخفة الروح واشاعة النكتة وكثرة المزاج والميل الى الحياة اللاهية على الرغم من الظروف الصعبة والحروب التي تتطلب الحياة الجادة، والجدة والتجلد، وروي ان المعتمد بن عباد في آخر ساعة من سلطانه كان

^١ ديوان ابن خفاجة : ١٨١ .

يتجرع الخمر مع جارية فاتنة له وقوات المرابطين يقتحمون قصره، ويخرج اليهم للقتال بالملابس الاعتيادية.... ويقتلهم ويكسر سيفه ويقتل ابنه ويستسلم، لذلك كانت وبالأعلى عليهم وصدق الشاعر في وصف ملوك الاندلس قوله^(١).

أرى الملوك أصابتهم بأندلس دوائر السوء لا تبقى ولا تذر وكيف يشعر مَنْ في كفه قدح يحدد به ملهياه الناي والوتر
قال احد الباحثين ان الأندلسيين تفوقوا في ألوان ثلاثة وهي شعر الطبيعة وشعر الحب والشعر الحزين^(٢).

وكانت للطبيعة أثرها في الآتي: -

١- من العناوين التي اختاروها لكتبهم فمن ذلك: الحقائق لابن فرج الجياني (٣٦٦هـ) وحديقة الارتياح في صفة حقيقية الراح لابي عامر بن مسلمة، وكتاب الحديقة لامية بن أبي الصلت الحكيم (ت ٥٢٩هـ) والطير ليوسف بن هارون (٤٠٣هـ) والبديع في وصف الربيع لابي الوليد الحميري (٤٤٠هـ) والروض المعطار في خبر الأقطار لابن المنعم الحميري (ت ٧٢٧هـ)، وروضة التعريف بالحب الشريف لابن الخطيب، ونفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، وازهار الرياض في اخبار عياض وروضة الآس العاطرة الانفاس للمقري التلمساني (ت ١٠٤١هـ).... وغيرها.

٢- تسمية الحرائر والجواري والبنات باسماء الزهور، ومن هذا ما روى ان المنصور بن ابي عامر سمى بناته باسماء الزهور، فنظم الشعراء في وصف الزهور لبيان فضيلة كل نوع منها، وهم في هذا يحاكون خصائص بنات المنصور.

^١ ابو الحسين بن الجد ، البيان المغرب ٣ : ١١٠ .

^٢ قضايا اندلسية : ١٣١ ، د. بدير متولي حميد ، دار المعرفة ، القاهرة ، ١٩٦٤ .

٣- مطالع القصائد، فقد خرجوا على العرف السائد بالوقوف على الاطلاع

في مطالع القصائد واستهلوها بشعر الطبيعة.

٤- امتزاج شعر الطبيعة بالاغراض الشعرية كافة، وقلماً نجد شاعراً في

غرض معين لا يأتي الى وصف الطبيعة او توظيفها في قصيدته، ولنا

في ذلك قصيدة ابن زيدون التي مطلعها (١) :-

أنني ذكرتكَ بالزهراء مشتاقاً والافق طلق ومرأى الارض قد راقا
والروض عن مائه الفضي مبتسمٌ كما شققتُ عن اللبات أطواقا
نلهو بما يستميل العين من زهرٍ جال الندى فيه، حتى مال اعناقا
كأن أعينه اذ عاينت أرقى بكت لما بيّ، فجال الدمع رقراقا

ولم تختلط الطبيعة فقط في الغزل، بل بالاغراض الاخرى مثل الرثاء والزهد،
فابن خفاجة قال قصيدة في رثاء ابن اخته، وقد مات بعيداً في الغربة يصف
حاله وما يعانيه من الألم والعذاب من أثر الفجعة ويستعير من الطبيعة للتعبير
عن الحزن والحسرة (٢).

كأن لهيباً بين جنبي واقداً به وركايا بين جفني تُمتحُ
تراني اذا أعولت حزناً حمامة تُرنُ وطوراً ايكهُ تترنحُ
غريقاً ببحر الدّمع والهم والدجى ولو كان بحراً واحداً كنت اسبحُ

وقصيدة أخرى ، شاركت الطبيعة ابن خفاجة في مصابه فبدت مظلمة وضيقة
كنفسية الشاعر من جراء الفواجع (٣).

فاظلم قرن الشمس وهي منيرةٌ وضافت بلاد الله وهي رحاب

١ ديوان ابن زيدون : ١٣٩ .

٢ ديوان ابن خفاجة : ٢٦٧ ، ركايا : بئر ماء .

٣ نفسه : ٢٢٥ .

٥- تشخيص مظاهر الطبيعة، وقد نظروا اليها كأنها حية تشاطرهم الحياة فشخصوا الامور المعنوية، فلابن خفاجة رائعة مشهورة، اعجب النقد الحديث بها، لذلك قيل أنها معجزة ابداعه، يقف الشاعر أمام الجبل يبدؤها بالحكمة والاعتبار، وبصور حالته النفسية واضطرابه حتى يبلغ البيت العاشر فيصف الجبل: (١).

وارعن طماح الذؤابة باذح يطاول اعنان السماء بغارب
يسد مهب الريح عن كلّ جهةٍ ويزحم ليلاً شهبه بالمناكب
وقور على ظهر الفلاة كأنه طوال الليالي مطرّق في العواقب
يلوث عليه الغيم سودّ عمائمٍ لها من وميض البرق حمراً زوايب
أصخت اليه وهو اخرس صامتٌ فحدثني ليلُ السرى بالعجائب

شخص الجبل بسبعة عشر بيتاً، فيصفه بالشموخ وعلو المغارب ويزاحم النجوم ليلاً ويسد الريح من كل جهة، فيه الوقار والاتزان والتفكير في العواقب، وهو جالس على ظهر الفلاة، إنه صورة كاملة لشيخ وقور حكيم مجرب جاعلاً من السحاب الداكن عمامته ومن وميض البرق زوايب تداعبها الرياح، فأذست اليه رغم أنه اخرس فأخذ يحدثه بكلمات شجية قريبة من نفس الشاعر وبنبرة اسية حزينة عن سنة الكون وناموس الحياة وعن العجائب التي مرّت عليه، ومن لجأ اليه من فائك قاتل

^١ ديوان ابن خفاجة : ق ١٦٤ ، الذخيرة ١/٣ : ٥٨٧ .

ارعن : الاهوج في منطقه / طماح : الجبل الطويل الشديد النتوء ، المناكب : جمع منكب : اجتماع رأس الكتف بالعضد ، يلوث : يلف ، زوايب : اطراف ، اصخت : اصغيت ، ليل السرى : طول الليل ، وفي ترجمة : ابن خفاجة ، ينظر : القلائد : ٢٣١ ، المغرب ٢٦٧/٢ ، المطرب : ١١ التكملة : ١٧٥ ، معجم الصدفي : ٥٩ ، المطمح : ٨٦ ، والبغية : ٢٠٢ ، وفيات الاعيان ٥٦/١ ، والخريدة ٢ : ١٤٧ ، ومقدمة ابن خلدون : ١٣٠٨ ومقدمة ديوانه ، تحقيق سيد غاري، ورسالتنا في الماجستير " شعر الطبيعة بين ابن الرومي وابن خفاجة " دراسة موازنة ، جامعة صلاح الدين - العراق ، ١٩٩٤ : ٤٠-٤٩ .

ومن ثواب صالح، ومن استراح بظله، وما لقي من نكبات الرياح وهطول الأمطار، وأخيراً تهادى في الاندماج والاستغراق فأخذ يحدثه، كأنه هو ابن خفاجة - عن همومه وشكواه من فراق الأحبة وكيف طوتهم ريح النوى والنواشب، وبلغ به الانفصال والعنفوان في الاثارة بان ما يسمعه من خفق الرياح هو رجفة اضلع من دقات قلبه، وما يسمعه من نوح الحمام إلا صرخات نعي وندب في رثاء أحبابه وما يراه من جفاف وشحة من الحياة بسبب ما استهلكه من الدمع في فراق الأصحاب، ويغلب عليه رهبة الموت ودنو الاجل وشقاء الانتظار، وأخذ يتساءل الى متى سيبقى ثابتاً من مكانه، وما حوله من رحيل من غير عودة، والى متى يراقب النجوم والكواكب في سهر طويل كل ليلة، فأخذ كاي رجل بلغ من الكبر ان يدعو مولاه ان يمد به برحمته بعد ان يؤس من الحياة في سأم وضجر وعجز. وقد حرص ابن خفاجة في هذه الصور ان يصور معاناته بطريقة غير مباشرة في اتحاد مع الجبل في عرض لموضوع الفناء والعدم بأسلوب قوي جزل بحيث اصبح الجبل منطلقاً لأفكاره ودفين مشاعره.

والقصيدة في بحر الطويل " فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن " وحرف الروى " ب " مؤسسة دخيلة، وحركة الدخيل كسرة، وعاطفية ذاتية إنسانية مصدرها نفسيته القلقة جراء الشيخوخة وإيمانه بتفاهة الحياة بعد ان اصابه الوهن والضعف ورحيل أقرانه واشتمل خياله على كثير من الصور البيانية والمحسنات البديعية في اغلب الأبيات متوجاً قصيدته بتشخيص الجبل على أنه شيخ جليل مهيب وقور حكيم، وأسلوبه جزل فخم العبارات له طنين وجلجلة والفاظه ذات الجرس القوي والوقع الشديد مع استعمال الفاظ حوشية كما في البيت الاول، واحاط قصيدته بغلاف وصفي في وصف مظاهر الطبيعة من الريح والليل والغيم والبرق... والمؤشرات الزمانية

والمكانية اضافة الى اصفاء الصفات الشخصية مثل وقور، مطرق، اخرس، صامت....^(١).

أنواع الطبيعة: -

١- **الطبيعة الصامتة:** الروض والشجر والازهار والورود والثمار والفصول والربي والبطاح والتلول والجبال والانهار والبحر والغمام والمزن والندى والسيل والبرد والتلج والبرق والرعد والشمس والقمر والنجوم والليل والنهار.....

٢- **الطبيعة الحية:** الحيوانات والحشرات والطيور، ولنا في ذلك مقطعة لابن شهيد في وصف نحلة:^(٢)

وطائرة تهوي كأن جناحها ضميرٌ خفي لا يحدده وهم
ملازمة للروض حتى كأنما لها كل ما تفتقر عنه الربى طعم
تمج بفيها الشهد صرفا ويختفي لمشتاره ما بين أحشائها سهم

٣- **الطبيعة الصناعية:** القصور والابنية والاحواض الصناعية والتماثيل والحمامات والادوات مثل الاسيف والرمح... والطعام والشراب... والآلات مثل دواليب المياه، والاساطيل والسفن... في حقبة كان الاهتمام بمظاهر الدنيا في غاية عظمتها ولاسيما القصور وما فيها من البرك والتماثيل والصور وما يحيط بها من الترع والبساتين والاشجار والانهار ولابن حمديس الصقلي (ت ٥٢٧هـ)^(٣) قصيدة في وصف قصر ببجاية نقل المقرئ خمسين بيتاً منها، وتعد من اروع قصائد الوصف وقال عنها " لم أر

^١ للمزيد عن تحليل هذه القصيدة : ينظر : التحليل اللغوي الاسلوبي لبائية ابن خفاجة : د. جمعة شيخة ضمن كتاب "القيروان وامامها سحنون" تونس : ٢٠٠٩ .

^٢ ديوان ابن شهيد : ق : ٦٠١ .

^٣ ترجمة ابن حمديس : ينظر : مقدمة ديوانه .

لهذه القصيدة من نظير " (١) يبدأ القصيدة بالدعاء ومن ثم ربط فخامة القصر بمقام الممدوح... المعتمد بن عباد، ثم مقارنة بالقصور المعروفة في التاريخ مثل الخورنق وسدير وايوان كسرى ثم يصف اجزاء القصر، الباحة والبركة التي تحيطها اشجار من ذهب وفضة ترمي فروعها المياه واسود منحوتة على حافاتها، وأبوابه المرصعة بالذهب ثم يصف السقف ويشيد بالصناع وينتقل الى الممدوح، وفي وصف البركة وتماثيل أسودها يقول:-

وضراعُمُ سكنت عرين رياسة تركت خريـر الماء فيه زئيرا
فكأنما غشيَّ النُّضار جسومَهَا واذاب في افواهها البُلُورا
اسدُّ كأن سكونها متحرّكٌ في النفس لو وجدت هنالك مثيرا
وتذكرت فتكاتها فكأنما اقعت على ادبارها لتثورا
وتخالها والشمس تجلو لونها نارا وألسنها اللواحس نورا
فكأنما سلت سيوف جداول ذابت بلا نار فعدن غديرا
وكانما نسج النسيم لمائه درعا فقدر سردها تقديرا

لقد جعل الصور تنطق عن طوايا الماضي البعيد والحاضر والمستقبل بطريقة الوصف المباشر لتمجيد الصورة وصاحبها في ملاءة مع السرعة الزمنية، القياسية والنسبية من خلال ربطها بصور من التاريخ وجماليات المكان من البركة والتماثيل والأشجار بأساليب البديان المعروفة لاسيما التشبيه لربط صور بصرية مرئية بمثيلاتها من الخيال في التقاط مزدوج وانتباه بؤري لصور الاسود بابعادها الثلاثة من خلال ابراز موضوعي الكتلة والفراغ ودورها في تشكيل اللوحة الشعرية ومعاني الانسجام والتوازن في تجاذب الاشكال المتجمعة لابرار ملامح اللوحات الفنية التي عرضها بشكل تعاقبي، كما إنه رتب صورته لإبراز قيمتها الجمالية

١ النفخ ٢: ٣٩ .

والحسية والتعبيرية وربطها بعظمة صاحبه وتجميع منسق للكلمات والصور المكانية والبصرية في خلق قصيدة نابغة من قواعد التركيب وآلية المعنى والتأثير الجمعي الذي برز من خلال ثقافته عن الروم والفرس وبيئته الطبيعية الجميلة اضافة الى ما اكتسبه من العلم والمعرفة في سنى حياته ، وأطر قصيدته بحرف الروي " الرءاء " المنسجم مع الاستمرارية التي يتميز بها تدفق الجداول والسيول والضياء وقرنها بالف الاطلاق الدال على السمو والارتفاع كما اعتمد على الموازنة في توظيف مفرداته في عرض الشيء وشبيهه او الاشياء المناظرة له، فاورد البناء والقصور، والجنة والحريز، والأفواه والبلور، ويد ورجل، وبيت ومعمور، وخورنق وسدير... كما كان للون والمفردات الدالة عليه نصيب في ردم الفجوة بين اللوحة المنظورة والقصيدة، وتدارك اهمية عنصري الظل والضوء في الكشف عن اللوحة الشعرية وتجسيد المشاهد وابعادها النفسية والدلالية، فكرر مفردات النضار والشمس والنار والنور واللجين واللؤلؤ والنجوم... فضلاً عن الاسماء المزينة التي تجعل بعض اجزائها نغماً تزين بها خريز الماء والبلور والغدير والطيور والصفير.. وكان توظيف سكونه ذروة ابداعه الى الاشارة الى صمت ساكن يرسل ذبذبات للتهيئ لحركة مقبلة، والقصيدة لوحة تشكيلية تتوفر عناصر الرسم فيها من الخط واللون والضوء والظل والكتلة والفراغ اضافة الى المستوى الفضائي المتمثل بالسقف والسماء والنجوم والمستوى الارضي المتمثل بباحات القصر والبلاط وجداول الماء ومقاعد الاسود....^(١)

سمات شعر الطبيعة :

^١ للمزيد عن وصف القصور والتماثيل والصور ينظر بحثنا الموسوم " الاطر التشكيلية لقصائد الصورة في الاندلس " منشورات مجلة جامعة كويه العدد ٩ لسنة ٢٠٠٨ .

١- غلبت على شعر الطبيعة فنون البيان والبديع فجاء مثقلاً بالتشبيهات والاستعارات والصور البديعية اضافة الى التجسيم والتشخيص. كقول ابن اللبانة: (١)

والورد تحت الطل فيها مشبه خدّاً يذوب من الحياء فيقطر
وكان نرجسها اصيب بروعتي فعلاه لون مثل لوني اصفر
فكأنما الريحان روعي كلما تتغير الأشياء لا يتغير

٢- تأكيدهم على الالوان في الصور الفنية التي رسموها، كأنها رسم بالكلمات ففيها الضوء والظل، والالوان، والكتلة والفراغ، ومستوى النظر، والفضاءات وصورهم كانت ملونة دال على الحركة كقول احدهم: (٢)

والشمس قد القت عليه رداءها فتراه يرفل في قميص اصفر

٣- سلاسة الاسلوب والميل بعضها الى الجزالة ومثانة التراكيب وانعكاسها لبوا عث القصيدة وأنية تنظيمها.

٤- غلبت المقطعات على وصف عناصر الطبيعة لاسيما المقطعات المنبثقة من البداهة والارتجال في وصف اشياء بصرية فيما غلبت القصائد على الاغراض الشعرية التقليدية الممزوجة بالطبيعة وصورها مثل الغزل والمدح ووصف مجالس الشوق والحنين والثناء....

وبالمقارنة بين شعر الطبيعة بين الاندلس والمشرق، اعتمد المشاركة على العقل والتفكير في وصفهم فكانت صورهم اعرق واقوى من الاندلسيين الذين اعتمدوا على الحس والذوق فكانت صورهم اجمل وأوضح (٣).

^١ شعر ابن اللبانة : ق: ٣٤ ، تحقيق : د. محمد مجيد السعيد، دار الكتب ، الموصل ، ١٩٧٧ .

^٢ ديوان ابن سهل الاشيلي : ١٦٦ .

^٣ قضايا اندلسية ، د. بدير متولي : ١٤١ ، دار المعرفة ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، وللمزيد عن شعر الطبيعة وموازنتها بالمشرق ينظر : رسالتنا الماجستير: شعر الطبيعة بين ابن الرومي وابن خفاجة ، دراسة موازنة ، جامعة صلاح الدين ، العراق ، ١٩٩٤ .

المعارضة في الشعر الاندلسي

المعارضة: لغة: هي المقابلة، يقال عارضته في السير اذا سرت حياله وحاذيته وعارضه بمثل ما صنع أي أتيت اليه بمثل ما أتى وفعلت مثل ما فعل^(١).
أما اصطلاحاً: فعرفها احمد الشايب بقوله: " ان يقول شاعر قصيدة في موضوع ما من أي بحر وقافية فيأتي شاعر آخر فيعجب بهذه القصيدة لجانبها الفني وصياغتها الممتازة، فيقول قصيدة في بحر الاول وقافيتها وموضوعها او مع انحراف عنه يسير او كثير حريصاً ان يتعلق بالاول في درجته الفنية ويفوقه، فيأتي بمعان او صور بازاء الاولى تبلغها في الجمال الفني او تسمو عليها بالعمق او حسن التعليل وجمال التمثيل او فتح باب جديدة في المعارضة، ولا علاقة بين اتفاق الشاعرين في العصر او اختلاف فيه^(٢).

الفرق بين المناقضة والمعارضة: المناقضة تدل على الاختلاف بين الشاعرين وعدم إتفاقهما من حيث الافكار وان تكون في زمان واحد، اما المعارضة فانها تدل على الاعجاب و الوفاء وتتصل بالبراعة الفنية التي تصل الى درجة التحدي وتتجاوز التقليد الى الابداع والمتابعة الى الابتكار، وهناك امثلة كثيرة على اخفاق الشعراء في معارضة بعض القصائد.

اما الفرق بين المعارضة وقصائد المراجعات والمجاوبات، فبينهما وشائج تتمثل في اعتماد البحر والقافية والروي ووحدة الموضوع عند الشاعرين ولكنها تختلف عن المعارضات لانها قصائد اقرب الى الاخوانيات وفيها ضعف في القيمة الفنية، ولا نجد ابداعاً او تفوقاً في اشعار المراجعات والمجاوبات وتخلو من عمق

^١ معجم مقاييس اللغة : ٤ : ٢٩٦ ، احمد بن فارس تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، للمزيد ينظر : المعارضات في الشعر الاندلسي : ٤١ ، د. يونس طركي سلوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

^٢ تاريخ النقائض في الشعر العربي : ٧ ، احمد الشايب ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٥٤ .

المعنى وموضوعاتها بديهية مثل الدعوة الى المجلس او السؤال عن الحال او ضجر من المرض.....

أسباب المعارضات في الأدب الاندلس

١- تقليد ادباء الاندلس لادباء المشرق، نتيجة لشدة تعلقهم بالمشرق، وقد وصف ابن بسام هذا التعلق بقوله: " إلا أنّ هذا الافق أبوا إلا متابعة أهل الشرق، يرجعون إلى اخبارهم المعتادة، رجوع الحديث الى قتادة حتى لو نعق بتلك الافاق غراب او نعق بأقصى الشام والعراق ذباب لجثوا على هذا صنماً وتلوا كتاباً محكماً" (١).

٢- نظرة الاستهانة الى نتاج الأندلسيين واستضال ما يصدر عنهم من الأندلسيين أنفسهم.

٣- البعد السياسي حين يكلف أمير أو حكم اندلسي شاعراً بمعارضة شاعر مشرقى، فإنه إن نسب لشاعره التفوق على الشاعر المشرقي يكون قد عزز ملكه.

٤- اعجاب اهل الاندلس بنتائج المشرق، وادى ذلك الى معارضة كتبهم، مثل العقد الفريد لابن عبد ربه معارض لعيون الاخبار لابن قتيبة، والذخيرة لابن بسام معارض لبيتية الدهر للثعالبي... أو يطلقوا على أنفسهم القاب شعراء المشرق، وقد لقب ابن زيدون ببحتري الاندلس والرصافي البلنسي بابن رومي المغرب وابن خفاجة بصنوبري الاندلس...، وتسمية مدنهم باسماء مدن المشرق، مثل تسمية اشبيلية بحمص في الشام.

٥- بيان المقدرة الفنية واطهار التفوق والسمو في نظم القصائد.

٦- الاعجاب بالقصائد المعارضة لسمو مستواها الفني.

أنواع المعارضة :

^١ الذخيرة ٢/٢ : ٥٩٠-١٩١ .

الاتفاق في البحر والروي والموضوع يجعل المعارضة تامة، وأي اختلاف او نقص في هذه العناصر الثلاثة يجعلها معارضة ناقصة.

من أبرز المعارضين في الأندلس:

ابن عبد ربه الأندلسي وجهور بن أبي عبدة عندما فتح باب المعارضة بمعارضة قصيدة ابن الرومي في تفضيل النرجس على الورد وعارضه عدد من الشعراء كما يتضح في كتاب " البديع في وصف الربيع " ^(١) وابن شهيد في معارضته لشعراء

الجاهليين والعباسيين في رسالته " التوابع والزوابع " والشاعر يحيى الغزال في معارضته لقصيدة ابي نواس في زيارة الحانة ^(٢).

امثلة على قصائد معارضة:

أ- معارضة الأندلسيين للمشاركة.

طلب المنصور بن ابي عامر من ابن دراج القسطلي معارضة قصيدة ابي نواس في صاحب خراج مصر أبي الخصيب ومطلعها: ^(٣)
أَجَارَةُ بَيْتَيْنَا ابْوَكْ غِيوْرُ وَمِيَسُوْرُ مَا يَرْجَى لَدِيكَ عَسِيْرُ

- الشوط الاول: في مطلع القصيدة يتغزل بدسئاء ممتدعة عليه لا سبيل الى الوصول اليها ثم ينتقل بالدعاء على نفسه إن لم تكن صاحبتة وزوجته... وانه ذو نظر ثاقب يزجر عيون الناس بعينه التي هي كنظر العقاب ثم يطلق حشداً من المعاني العذبة في مدح الخصيب بأسلوب رقيق جرساً وإيقاعاً.

- الشوط الثاني: يخاطب زوجته التي انهمرت دموعها وتطلب منه عدم الأسفر لكثرة المتاعب.

^١ تحقيق: هنري بيرس ، الرباط ، ١٩٤٠

^٢ للمزيد عن قصائدهم ينظر: المعارضات في الشعر العربي، محمد محمود قاسم " نوفل " وموازنات عربية بين الاندلسيين والمشاركة ، د. حميدة صالح البلداوي، والمعارضات في الشعر الأندلسي ، د. يونس طركي سلوم .

^٣ ديوان أبي نواس : ٤١٧-٤٢٦ .

تقول التي من بيتها خف مركبي عزيز علينا ان نراك تسير

ويقول ابو نواس ان امله كبير بالخصيب

ذريتي أكثر حاسديك برحلة الى بلد فيه الخصيب أمير

- الشوط الثالث: مدح مباشر.

- الشوط الرابع: يصف الرحلة والمدن التي مر عليها، كقوله في وصف حال

الابل.

رحلن بنا من عقر قوف وقد بدأ من الصبح مفتوق الأديم شهير

اصبحن بالجولان يرضخن صخرهاو ولم يبق من اجراحن شطـور

وفي القسم الثاني يرجع الى المدح وطلب النوال مختتماً بقوله:

فان تولني منك الجميل فأهله وإلا فأني عاذر ومشكور

وهي من القصائد المشهورة في الأدب العربي وتبلغ عدد أبياتها أربعين بيتاً.

وبعد الحاح المنصور بن ابي عامر عليه بعد أن اعتذر الصاعد البغدادي نظم

ابن دراج قصيدته في خمسة وستين بيتاً، وزيادة مبنى القصيدة وعدد الابيات تأكيد

على اظهار البراعة والتفوق وهي معارضة تامة في البحر والروي والموضوع

وعدد الاشواط. ومطلع القصيدة: -

دعي عزمات المستضام تسير فتتجد في عرض الفلا وتغور

الشوط الاول: مخاطبة الزوجة، وزجرها، وتخوفها عن عواقب السفر، ووصف

مواقف الوداع في أبياته فيما يسمى بالتعلق الاسرى، ثم التخلص الى ممدوحه قوله:

تخوفني طول السفار وأنه لتقبيل كفّ العامري سفير

الشوط الثاني:

واستنشق النكباء وهي بوارح واستوطئ الرمضاء وهي تفور

وللموت في عين الجبان تلَوْن وللذعر في سمع الجري صفير

وبالموازنة بين القصيدتين يتبين: -

- ١- اتفاق الوزن والقافية والموضوع.
- ٢- توسع ابن دراج في وصف الرحلة ومشاعر الاسرة والاولاد بينما توسع ابو نواس في وصف جغرافي في ذكر الاماكن التي مرّ بها، كما أنه وصف الناقة وصفاً مسرفاً في رحلته.
- ٣- شدد ابو نواس على جانب الكرم لانه كان صاحب خراج وابن دراج شدد في ممدوحه على القائد المسلم الشجاع المدافع عن الاندلس.
- ٤- لغة أبي نواس لا يمكن الوصول اليها، وقصيدته غراء، وابن دراج لم يقصر عنها فكانت الجزالة وبراعة الاسلوب والصياغة، وبذلك إدرك الشاعر مرماه وان لم تصل الى شهرة قصيدة ابي نواس، وكانت معارضته ناجحة.

ب - معارضة الأندلسيين فيما بينهم:

هنالك امثلة كثيرة لاسيما في مجال مفاضلة الورود وقد جمعه الحميري في كتابه " الديق في وصف الربيع " قصائد متنوعة وقد فصلنا عن ذلك في شعر الطبيعة، واورد ابن بسام مقطعات عدة في وصف الحمامة منها مخاطبة يوسف بن هارون (ت ٤٠٣هـ) ^(١) بها:

أمامةٌ فوق الاراكَةِ تنثني بحياةٍ مَنْ ابكاكِ ما ابكاكِ
أما أنا فبكيتُ مِنْ حرقِ الهوى وفراقٍ مَنْ اهوى، أنْتَ كذاكِ

ومن ثم مقطعات اخرى مشابهة بالقافية نفسها والوزن كقول أبي علي ادريس بن اليماني العبدري الياسي: -

ورقاً مطوقهُ السوالف سندساً لم يحكِ ضَعَتْها حياكُهُ حاكِ

^١ الذخيرة ١/٣ : ٣٤٤-٣٤٥ .

تشدو على خُضرِ الغصونِ بالسنِ صبغت ملائمتها بلا مسواك
وكانْ أرجلها القواني ألبستْ نعلًا من المرجان دون شراكِ
وكانْها كُحِلَتْ بنارِ جوانحي فترى لأعينها لهيبَ حشاكِ

كما اورد مقطعات معارضة لأبي الربيع القضاعي ويحيى بن هذيل وابي مروان المعروف بالبلينة، وأذنى ابن بسام على مقطعة اليايسي بقوله " وأجاد أراد وزاد"(١).

ج - معارضة المشاركة للأندلسيين: نظم ابن زيدون نونيته المشهورة (٢)

اضحى التنائى بديلاً من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا
معارضاً لقصيدة البحرى:

يكاد عاذلنا في الحب يُغرينا فما لجاجك في لوم المحبينا

واشتهرت نونية ابن زيدون وقال الشقندي (٦٢٩ هـ) " لم يقل مع طولها في النسب ارق منها "(٣) واثيرت اساطير حولها، وشغف الشعراء بمعارضتها وتخميمها وتسديها وفي العصر الحديث عارضها احمد شوقي.

يا نائح الطلع اشباه عوادينا نشجي لواديك أم تأسى لوادينا

ومن القصائد المشهورة الاخرى، قصيدة " ياليل الصب " التي عرفت بالعصماء التي نظمها ابو الحسن الحصري القيرواني (ت ٤٨٨ هـ) في مدح صاحب مرسية وبلغ عدد ابياتها تسعة وتسعين بيتاً ومطلعها: (٤).

ياليل الصب متى غده أقيام الساعة موعدة

١ نفسه ١/٣ : ٣٤٥ .

٢ ديوان ابن زيدون : ١٤١ .

٣ نفح الطيب ٣ : ١٩٤ .

٤ ينظر : النص الكامل للقصيدة والقصائد المعارضة لها " أبو الحسن الحصري ، محمد المرزوقي والجيلاني ابن الحاج ، مطبعة المنار ، تونس ، ١٩٦٣ .

وبلغ معارضوها أكثر من تسعين شاعراً وشاعرة^(١).

معارضات ابن عبد ربه الاندلسي:

١- ما ورد في العقد الفريد في باب شواهد على الاوزان الشعرية، يذيل كل قطعة غزلية بيت شعري لشاعر مشهور، وقد انتظم منها ثلاث وستون قطعة، كل واحدة منها تتراوح بين أربعة وستة، مثل قوله:

زادني لومك أصرار إن لي في الحب أنصارا
طار قلبي من هوى رشاً لودنا للقلب ما طارا
انضجت نار النوى كبدى ودموعي تطفئ النار
رب نار بت أرمقها تقضم الهندي والغارا^(٢)

البيت الأخير للشاعر عدي بن زيد العبادي.

٢- **الممحصات:** محص الذهب بالنار أي أخلصه من الشوائب وهي قصائد يعارض فيها قصائد تقدمت في حياته الأولى، يلتزم أركان المعارضة من الوزن والقافية وحركة الروى وينقض نزعه في اللهو والمجون ويشير إلى تلك القصائد، وجل ما وصلنا من القصائد والمقطعات في هذا الموضوع تبلغ خمسون بيتاً، وإنه يضمن قصائده الثانية شطر بيت من قصيدته الأولى، وإنه عندما شبع من معارضة الآخرين أخذ يعارض نفسه وربما تقع في باب التوبة بالتوجه نحو الموعدة والزهد تكفيراً ومن محصاته^(٣).

يا عاجزاً ليس يعفو حين يقتدر ولا يقضى له من عيشه وطراً^(٤)
عائين بقلبك إن العين غافلة عن الحقيقة وأعلم أنها سقر

^١ المعارضات في الشعر الاندلسي : ٧٧ .

^٢ العقد الفريد ٥ : ٤٤٧ .

^٣ ديوان ابن عبد ربه : ٧١ .

^٤ وطراً : حاجة .

سوداء تزفرُ من غيظ اذا سعت للظالمين، فلا تبقى ولا تذُرُ
إنّ الذين اشتروا دنيا بأخرةٍ وشقوة بنعيم ساء ما تجروا
انتَ المقول له، ما قلت مبتدئاً " هلا ابتكرت لبين انتَ مبتكر "
والبيت الاخير مطلع لقصيدة له في الغزل بالذكر في فتى كان يألفه وقد ازمع
على السفر (١).

٣- ومن صورهِ الاخرى في معارضته لشعراء المشرق، أنه يستعرض في كتابه أمثلة
شعرية في موضوع معين ثم يشفعها بأبيات من شعره، دون ان يلتزم الوزن
والقافية، كما فعل حينما تناول " القلم " وذكر قصائد او قطع شعرية لشعراء: ابو
تمام والبحري والعلوى... ثم انتهى بقوله: " ومن قولنا في القلم " ذكر قصيدة في
أربعة عشر بيتاً مطلعها: (٢).

بكفه ساحر البيان اذا ادارهُ في صحيفة سحرا
٤- **المعارضة التامة:** عندما بلغ مرحلة متقدمة من الثقة بالنفس، أخذ يعارض شعراء
المشرق ويلتزم الوزن والقافية وحركة الروي والموضوع، ومن ذلك قصيدة له
يعارض لامية مسلم بن الوليد (صريع الغواني) والتي مطلعها: (٣)
أديرا عليّ الراح لا تشربا قبلي ولا تطلبا من قاتلتي نحلي
فيسوق ثلاثة ابيات من تلك القصيدة ثم يذيلها بقصيدة له في أثنى عشر بيتاً
قائلاً (٤).

اتقتلني ظلما وتجحدني قتلي وقد قام من عينيك لي شاهداً عدل

١ ديوانه : ٧٠ ، للمزيد ينظر : المحصنات في شعر ابن عبد ربه الاندلسي ، ابراهيم ابو زيد ، دار
الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٨٩ .

٢ العقد ٤ : ١٩١-١٩٤ .

٣ ديوان مسلم بن الوليد : ١٨ .

٤ العقد الفريد : ٥ : ٣٩٨-٣٩٩ .

واحياناً يتبع التقليب والتغيير والعكس والاسهاب في معارضاته فهو رجل قياس وشواهد لذلك لم يشتهر كشاعر وانما اشتهر من خلال كتابه " العقد الفريد " .

تعدد القوافي.

قبل ان نتناول الزجل والموشحات، لا بد ان نتطرق الى التنوع في القوافي الذي انتشر في الاندلس والمشرق العربي لشيوع الغناء، والتنوع في القوافي احد متطلبات الغناء الجديد، وكان الشعراء يلجأون الى القافية الواحدة اذا كانوا يبدون الجلال في القصائد الجديدة والموضوعية والى التنوع في القوافي اذا كانوا يبدون الجمال، وفيما يلي أهم هذه التنوعات: -

١- المزدوج:

يعتمد الشاعر على تصريح^(١) أبيات القصيدة جميعاً، وغالباً ما يكون في الأراجيز، وأبو العتاهية من روادها الاوائل، له ارجوزة في اربعة ألاف بيت وهي التي سُمها "بذات الحكم والامثال " ولابن المعتز مزدوجة في الشراب، ويكثر هذا النوع من الشعر في الاندلس ولا سيما في الامثال والقصص والاراجيز التاريخية والعلمية، ويجوز للشاعر ان يعود الى التصريح بعد كل سبعة أبيات كأما هو يبدأ مقطوعة جديدة، ومنه تفرع " المشطر " وفيه يعد الشطر الواحد بيتاً مستقلاً وقد يلتزم في صدرها قافية وفي عجزها قافية أخرى فتسمى " بالمتنيات " وغالباً ما تكون قافية الشطر الاول مشابهة لقافية الشطر الثالث، وقافية الشطر الثاني مشابهة لقافية الشطر الرابع وهكذا: -

_____ أ _____ ب

_____ أ _____ ب

^١ التصريح : ان يكون هنالك قافية واحدة في نهاية الشطر الاول والثاني من البيت مثل قول البارودي :

ومنه " المثلثات " ويعتمد فيها الشاعر على ثلاثة اشطر يكون نظامها قريب من الموشحات، وكالآتي: -

— أ — أ

— ب —

— ج — ج —

— ب —

هو البين حتى لاسلام ولا رد

ولا نظرة يقضي بها حقه الوجد

٢. المربعات (دو بيت): -

وفيهما يقسم الشاعر منظومته الى مجاميع كل مجموعة مؤلفة من أربعة أبيات مشطرة وبغافية واحدة ويسير فيها على وزن واحد، وكلمة " دو بيت " فارسية او كردية بالاصل بمعنى بيتين (دو+بيت) ومنه حُرِف الى بوزيت بوزية أبوزية، ووزنه خاص خارج عن بحور الخليل وغالباً ما يكون على وزن " فَعْلُنْ - متفاعلن - فعولن - فَعْلُنْ " والمربعات تختلف عن الرباعيات التي تنظم على أوزان الخليل وتقسم الى مجاميع كل مجموعة متكونة من أربعة اشطر وغالباً تنظم كل مجموعة بغافية أو حرف روى وقد تنظم ثلاثة اشطر بحرف روى والرابع بحرف روى مغاير يتكرر في كل مجموعة جوازا.

— أ — أ —

— أ — ب —

* * * *

— ج — ج —

— ج — ب —

* * * *

٣- الخمسات:

عبارة عن قطع يتألف كل واحدة منها من خمسة اشطر، الاربعة الاولى ذات قافية موحدة والخامسة بمثابة اللازمة التي تكون لها قافية خاصة، والتخطيط كالآتي:

— أ — أ —
— أ — أ —
— أ —
— ب — ب —
— ب — ب —
— أ —
— ج — ج —
— ج — ج —
— أ —

وتعد القصائد التي تتشابه فيها القوافي جميعاً في الاشطر كافة من اعذب انواع الخمسات، وهي الاكثر انتشاراً

٤- المسمطات:

وهي اقرب المنظومات الى الموشحات، وهنالك مسمطة مذبوبة الى امرئ القيس وجدتها في العمدة لابن رشيق، والأرجح انها منحولة مطلعها:

توهمتُ من هندٍ معالم اطلال غفاهنَّ طول الدهر في الزمن الخالي
مربع من هند خلَّتْ ومصايفُ يصيح بمغناها صدى وعوازفُ
غيرها هوجُ الرياح العواصفُ وكلّ مسفٍّ ثم آخرُ رادفُ
بأسحم من نوء السماكين هطالٍ
ويكون المخطط كالآتي

أ — أ —

* * * *

ج — ج —

ج — ج —

أ أو ب —

* * * *

د — د —

د — د —

أ أو ب —

٥. الملمعات: -

وظهر هذا النوع في العصور المتأخرة، وفيها ينظم الشاعر الشطر الاول بلغة معينة والشطر الثاني بلغة اخرى أو لهجة عامية، وقد يتجاوز الى ثلاث لغات أو أربع، والقصد منها إظهار الباع، وفيها تكلف كبير على حساب المعنى أو الدلالة، وتمثل مرحلة التزاوج بين اللغات المتداولة في العراق .

الزَجَل

الزَجَل: بالتحريك، اللعب والجلبة ورفع الصوت، فن يعتمد الى حد كبير على الغناء والحركة حتى يتسنى لسامعيه أن يتلذذوا به.

وقال صفي الدين الحلي: انما سُمِّيَ هذا الفن زجلاً، لأنه لا يلتذ به، وتفهم مقاطع اوزانه، ولزوم قوافيه، حتى يُغْنَى به، ويصَوَّت، فيزول اللبس بذلك^(١).

وقد ولد الزجل في الاندلس في أواخر القرن الرابع للهجرة، ونشأ فيها، وتطور على أيدي زجالة مشهورين، ويعد ابو بكر بن قُرمان (٥٥٤ هـ) شيخ صناعته

^١ العاقل الحالي : ١٠ .

وامام فنه، ثم استمر تطوره في القرن السابع للهجرة، ولا سيما فيما يتعلق بجنوحه نحو التصوف والزهد وكانت تسمى بالمكفرات، بسبب ما لحق بالاندلس من المحن والمصائب والنكبات، وانتقل الى المشرق، ودخل مصر قبل غيرها بحكم قربها ثم انتقل الى الشام والعراق.

وأول من عني به في المشاركة الشاعر المشهور صفي الدين الحلي (ت ٧٥٠هـ) في كتابه " العاقل الحالي والمرخص الغالي " وتبعه في ذلك ابن حجة الحموي (٨٣٧هـ).

الزجل، ملحون، بعيد عن الاعراب، يغلب عليه التسكين، ويصلح للغناء، وينظم على بحور الشعر المعروفة الى جانب بحور اخرى، والشائع فيه ان يكون البيت من أربعة اشطر او مصارع، الثلاثة الاولى من روي معين، والرابع من روي مغاير لها، ومكرر في كل شطر رابع من القصيدة، ويشيع الجنس في القوافي الثلاثة الاولى، وقد ينظم اقفاً شبيهاً بالموشح، ولا يزيد القفل الواحد على بيتين في الغالب، وربما يكون للبيت رويان، أحدهما للصدر والآخر للعجز، ويسمى في العراق بـ " العتابة " أو " الزهيري " الاول يأتي في الغالب على وزن الوافر " مفاعلتن، مفاعلتن، مفاعلتن " والثاني على وزن البسيط " مستفعّلن، فاعلن، مستفعّلن، فاعلن " و الزجالون قد استعملوا بحور الخليل الستة عشرة وابتدعوا بحوراً أخرى الى جانب ذلك.

والعتابة العراقية تتكون غالباً من أربعة مصارع، الثلاثة الاولى على روي والرابع على روي آخر، ولا ينظمونها إلا من الوافر، ويلتزمون في قوافيها الثلاثة الاولى الجنس كالاتي.

_____ أ جناس _____ أ جناس

_____ أ جناس _____ ب

كقول احدهم

خدودك شمس و عيوني حربها وأوصافي اليك كل كاهن حاربها

يا عينك من تصد تنبت حربها بدلاي وتَهت عن رد الجواب
والشعر الزجلي المستعمل حالياً عدا العتابة يأتي على اوزان مختلفة، ينظمونه
اقفالا كل قفل مستقل بذاته لا يزيد في الغالب عن بيتين، وقد يكون برويين مختلفين
او بقافية واحدة، مثل قول احدهن باللغة العامية الجنوبية العراقية: -

ما قُلْتُ لُجْ يَأُيْمُهُ^(١) على الرحي عيني
ما ادري الرحيّة ثجيلة^(٢) لو لا العشق راميني

ويعد ابن غرلة الشاعر المغربي من ابرز الزجالين بعد ابن قزمان وهو من
اكابر اشياخهم، وينظم الموشح والزجل، فيلحن في الموشح ويعرب في الزجل،
وكان الوزير ابن سناء الملك يعيب عليه ذلك ولهذا لم يثبت شيئا من موشحاته في "
دار الطراز".

ومن موشحاته، الموشحة الموسومة بالعروس التي نظمها عند عشقه رُميلة
اخت عبد المؤمن الموحيدي، أمير الموحدين في الاندلس، وقتله بسبب التشبيب بها،
وكان حسن الصورة، جليل القدر، ذا عشيرة، وكانت جليلة القدر، جميلة الخلق،
فصيحة اللسان، تنظم الازجال، ومطلع الموشحة^(٣):

مَنْ يَصِيدُ صَيِّداً فليكن كما صيِّد
صَيِّدِي الغزالة مَنْ مرّاع الأسد

^١ لج: لك

^٢ ثجيلة : ثقيلة .

^٣ العاقل الحالي والمرخص الغالي : ١١ ، صفي الدين الحلي ، تحقيق حسين نصار ، دار الشؤون
الثقافية ، بغداد ، ١٩٩٠ . بلوغ الامل في فن الزجل ، ابن حجة الحموي

كـيـف لا اـصـولُ واقتـ نصتُ وحشـيَّة
ظبيـة تجـولُ فـي ردا وسـوسيه^(١)

صـاغها الجـليـلُ فـهـي شـبه حـوريـه
تـتـنـي رويـدا إذ تمـيسُ فـي البـرـدي
تـعـجـن الغـلالـة والـرـدى مـع النـهـدى

ومن الزجالين الآخرين ابو عبد الله مدغليس في ديوانه ثلاث عشرة قصيدة على اوزان الخليل، ومن ذلك زجل في بحر المديد في ثمانية وعشرين بيتاً وبحرف روى عين، مطلعها ^(٢): -

مضى عـنـى مـن نـجـبـو وودع ولهيب الشوق في قلبي قد اودع
لو رأيت كـف كـن نـشـيـاغوا بالـعين ومـ نـدرى أن روي نـشـيع

الموشحات

الموشحات: الموشح: لغة: اسم مفعول من الفعل وشح، والوشاح (الضم أو الكسر) كرسان من لؤلؤ وجوهر منظمان يخالف بينهما، معطوف احدها على الآخر على اديم عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة على عاتقها وكشحيها، والجمع وشح أو اوشحة أو وشائح، والسبب في تسمية هذا الاسم على هذا النوع من النظم، وهو تصور الاندلسيين من هذا النظم كرقعة الثوب فيه خطوط منظمة افقياً او عمودياً،

^١ ردا : رداء ، وسوسيه : نوع من الرداء .

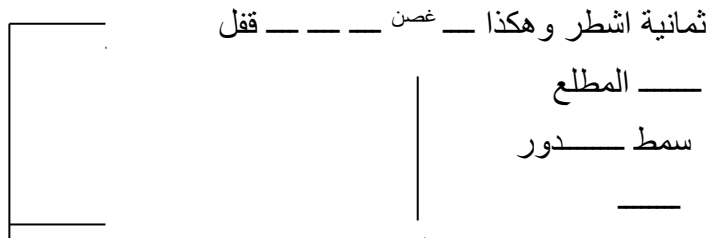
^٢ العاطل الحالي والمرخص الغالي : ١١ ، صفي الدين الحلي ، تحقيق : حسين نصار ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٩٠ .

والرابط بين المعنيين هو فكرة التجميل، والمرأة تتخذ من الوشاح وسيلة للتجميل، والموشح مجمل بهيكلة المتنوع.

وقد عرفه ابن سناء الملك (٦٠٨هـ) وله: "كلام منظوم على وزن مخصوص، يتألف في الاكثر من ستة اقفال، وخمسة ابيات، وفي الاقل من خمسة اقفال" (١).

اجزاء الموشحة

١- **المطلع:** او المذهب: وهو القسم الاول من الموشحة يتألف من شطرين الى



ما ابتداء بالقفل يسمى تاماً وما ابتداء بالأبيات يسمى بالأقراع.

٢- **الدور:** وهو مجموعة من الاشعار، تتركب من مجموعة من الفقرات مختلفة العدد، وفي الغالب يلتزم بقافية واحدة في الدور الواحد، وبغيرها في الدور الذي يليه.

٣- **القفل:** وهو مجموعة الاشعار التي تلي الدور، وتكون غالباً على غرار المطلع من حيث بنائه وقوافيه ويلتزم الوزن وعدد الاشطر والاجزاء وانها تبني على المطلع اذا كان تاماً او على الخرجة اذا كان اقراً.

٤- **الخرجة:** وهي القفل الاخير من الموشحة، وأهم جزء فيه لانها الخاتمة، وغالباً ما تكون بالعامية او حجاجية او معربة من لغات أخرى.

^١ دار الطراز : ٤٠ .

نموذج هيكلي من موشح تام مثالي (موشحة ايها الساقى).

_____ قفل (١)

_____ المطلع

_____ غصن — قفل (٢)

_____ سمط — الدور

_____ قفل (٣)

_____ الدور

_____ قفل (٤)

_____ الدور

_____ قفل (٥)

_____ الدور

_____ الخرجة

الاقفال: قافية واحدة ووزن واحد

الادوار: مختلف القوافي والاوزان في الغالب

موشحة ايها الساقى: ابن زهر الاشبيلي (٥٩٥هـ)

ايها الساقى اليك المشتكى قد دعوناك وإن لم تسمع

ونديم همتُ في غرتِه

وشربت الراح من راحته

كلما استيقظ من سكرته

جذبَ الزقَّ اليه واتكا وسقاني أربعاً في أربع

ما لعيني عشيتُ بالنظرُ

انكرتُ بعدك ضوء القمرُ

فاذا ما شئت فاسمع خبري

عشيتُ عيناى من طول البُكا وبكى بعضي على بعضي معى

غصن بانٍ مال من حيث استوى

ماتَ من يهواه من فرط النوى

خافق الاحشاء موهون القوى

كلما فكر في البين بكى ماله يبكى لما لم يقع

ليس لي صبر ولا لي جدُّ

ما لقومي عدلوا واجتهدوا

انكروا شكواي مما اجد

مثل حالي حقها أن تشتكي كمد اليأس وذلّ الطمع

كبد حري ودمع لا يكف

يعرف الذنب ولا يعترف

ايها المعرض عما اصف

قد نما حُبك عندي وزكا لا تقل في الحب إنى مدّع

مناقشة عائديه موشحة ايها الساقى الى ابن المعتز (٢٩٦هـ) أم ابن زهر

(٥٩٥هـ).

أدلة عائديه الموشحة في ديوان ابن المعتز.

١- وجدت الموشحة في ديوان ابن المعتز^(١).

٢- رجل بامكانية ابن المعتز وهو الذي وضع اول كتاب في علم البلاغة،
وشاعر مجيد لا يستكثر عليه.

٣- لا يمكن ان يكون الموشح قد جاء من الغرب والغربيون لا يعرفون
القافية، وما يقال ان الصوناتات اصل الموشحات غير صحيحة لان
الموشحات اقدم من الصوناتات.

٤- ان زرياب الذي انتقل الى الاندلس هو الذي نقل الموشحات اليها.

٥- ايد ذلك: كامل امين، صفاء خلوصي، المستشرق نيكل. وغيرهم
أدلة عائدية الموشحة الى ابن زهر الحفيد.

^١ ديوان ابن معتز ، تحقيق : د. يونس السامرائي ٢ : ١٧٠ .

- ١- ورود الموشحة في ديوان ابن المعتز سهو من الناسخ.
- ٢- ان الموشحة وردت في المصادر الاندلسية وغير الاندلسية منسوبة الى ابن زهر الحفيد (٥٩٥هـ) الذي عاش بعد ابن المعتز فقد اوردها ابن سناء الملك (٦٠٨هـ) في دار الطراز وابن دحية (ت ٦٣٣هـ) في المطرب وابن سعيد (٦٨٥هـ) في المغرب وغيرهم.
- ٣- بعد الموشحة عن روح ابن المعتز كما أنها لا تمثل شيئاً من نظراته في الحياة ولا فنه الادبي وليس فيها تشبيه واحد من التشبيهات التي عرف بها، وليس فيها شيء من خصائص فنه.
- ٤- لا نعرف لابن المعتز موشحات اخرى، فمن غير المعقول ان تكون وحيدة التي نظمها.
- ٥- في التراجم لم نجد ذكرا لابن المعتز انه كان وشاحاً.
- ٦- الف كتاب البديع وتطرق الى ثمانية عشر فناً ولم يتطرق الى الموشحات.
- ٧- لو كانت هذه الموشحة لابن المعتز لشاعت في الشرق.
- ٨- ان الموشحة جاءت مشابهة ومناظرة لموشحات اخرى لابن زهر.

أولية الموشحات.

تشير عدد من المصادر الاندلسية ان اول مخترع للموشحات هو مقدم بن معافي القبري ويسميه ابن بسام محمد بن محمود القبري الضرير، ولم تصلنا موشحة منه، هناك اتفاق ان الاندلس انجبت هذا الفن ولكن الخلاف قائم على الجذور التي انبثقت فيها والمؤثرات التي اثرت فيها فانتهت الى هذه الصورة.

الاتجاه الاول: ان الموشح تطور من الشعر المشرقي العربي فيما عرف بالمسمطات والمزدوجات، وذهب، فؤاد رجائي في "الموشحات الاندلسية" ان زرياب المغني نقل طريقة الغناء المشرقية القائمة على اصول النوبة الغنائية وتتمثل

هذه الطريقة في عدد من المغنيين يغني كل واحد حين تأتي نوبته عدداً من الابيات على لحن واحد بايقاع وقافية مختلفين^(١).

ومن ذهب الى القول بالاصل المشرقي: المستشرقون نيكل، وهارتمان ويوهان فك.....، واحسان عباس وشوقي ضيف وصفاء خلوصي.....^(٢).

الاتجاه الثاني: ثمرة من ثمار الاندلس الياذعة، والذين نحوا هذا المذحى، عدد من مستشقي الاسبان وعدد كبير من الباحثين العرب وكالاتي: -

١- وجد " ريديرا " أن الموشحات فيها اثر من اثار الاغاني الجليقية، وهي خلاصة الاغاني الرومانثية الاسبانية، فالنساء الجليقيات اللاتي انتشرن في البيوت كن يستخدمن تلك الاغاني في الحفلات وفي ساعات الفراغ^(٣).

٢- وقال بطرس البستاني هنالك صلة بين الموشحات والشعر الفرنسي والاسباني، وانها تدل على تأثر العرب بهذين الادبيين وقد ذهب عدد من الدارسين الى اثبات عكسها والادعاء بتأثر شعر التروبادور بالموشحات^(٤).
٣- ورأى المستشرق الاسباني (ميليكروسا) المختص بالدراسات العبرية الذي رأى في الموشحات أثراً من اثار الاغاني والانايد الدينية مثل " البزمون " وكان يرددها اليهود المعاشون للمسلمين^(٥).

ومن أدلة الاتجاه:

١- اختلاف الموشح في بنائه وأوزانه عن فنون الشعر العربي.

٢- الخرجات الاعجمية التي وجدت منها.

٣- انتشار الموشحات في الاندلس.

اسباب نشوء الموشحات في الاندلس.

^١ الموشحات الاندلسية : ١٢٥-١٢٦ ، د. فؤاد رجائي ، مصر .

^٢ فصول في الادب الاندلسي : ١٢٩-١٣٣ .

^٣ الادب الاندلسي : ٢٥٤ منجد .

^٤ ادباء العرب في الاندلس وعصر الانبعاث : ٨٢ .

^٥ الادب الاندلسي : ١٥٢ ، هيكل .

١- العوامل الاجتماعية: تطور الحياة الاقتصادية والثقافية وما بلغته الاندلس من الرفاه والترف وسعة العيش مما اتاح لهم الاقبال على اللهو والتفنن في اساليبه وطرقه والبحث عن الجديد.

٢- العوامل الفنية: ثمرة للتطور الذي حصل في الحياة الاجتماعية والاقتصادية بالتوجه الى الحياة الفنية وتشجيع الغناء والمغنين وإغداق الاموال عليهم، ومن عوامله دخول زرياب المغني الى الاندلس وتعليمهم اصول اداب المجالسة والمحادثة وانواع الاطعمة والغناء حتى لقبوه " معلم الناس المروءة " كما علمهم اللطف والرقص وارهاف الذوق فضلاً عن جهوده في مجال الغناء والموسيقى، فأصبحت هنالك الحاجة الى لون جديد من الشعر يواكب الغناء، فأصبحت الموشحات تلبي هذا الغرض من حيث تنوع الوزن والقافية وثنائية اللغة.

٣- تأثير الغناء والفلكلور الاسباني.

فالموشحات: ثمرة اندلسية، تأثرت من حيث بناء القصيدة وأوزانها بالمحاولات الشرقية القديمة التي خرجت على الاوزان المألوفة، مع تأثرها بالاثار الاسبانية والفرنسية من الغناء والشعر.

أغراض الموشحات

الغزل والمديح والوصف والرتاء والزهد والتصوف.

الدراسة الفنية: المضمون: معانيها لم تتضمن جدة او عمقاً وإنما جاءت لطيفة حلوة على ابتذالها، ويستتر هذه المعاني طلاء خارجي مستمد من ضروب البيان والبديع ولا سيما ان الهدف الأساس هو خلق أجواء الحب وإثارة عواطف الحنين وشطحات الخيال اما اغراض الرثاء والزهد والتصوف فانها لا تختلف عن القصائد المألوفة الا اذا نظمت من اجل الانشاد.

أما الشكل: فالتصفت بالضعف والركاكة لان الشاعر ينبغي ان يرضى الأنواق العامة فكانت هنالك اللغة الفصحى والعامية والأعجمية وبحورها غير منضبطة لا يمكن القياس عليها.

أثر الأدب الأندلسي على الأدب الأوروبي.

وصلت الحضارة الاندلسية الى مرحلة متقدمة لاسيما في عهد عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠ هـ) وكانت اوربا تعيش في مرحلة القرون الوسطى، وكان من الطبيعي انتقال تلك الحضارة الى اوربا عبر الاندلس وجزيرة صقلية التي خضعت للحكم المسلمين (٢١٢-٤٨٤ هـ) ومن خلال^(١) :-

١- الزمالات الدراسية والبعثات العلمية: - كان محبو العلم والمعرفة في اوربا يسافرون الى الاندلس ويقضون سنوات عدة في الاطلاع على مراكز العلم

^١ ينظر : تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس : ٤٧٤-٤٧٨ ، د. خليل ابراهيم السامرائي وآخرون ، جامعة الموصل ، واثر العرب في الحضارة الاوربية ، جلال مظهر ، دار المعارف ، واثر الشعر الاندلسي في شعر التروبادور ، عباس محمد ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، ١٩٨٣ ، واثر العرب في الحضارة الاوربية عباس محمود العقاد ، دار المعارف ، مصر ، اثر العرب والاسلام في النهضة الاوربية ، د. محمود علي مكب ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، العرب والحضارة الاوربية ، محمد مفيد الشوباشي ، المكتبة الثقافية رقم ٤٣ ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ورحلة الادب العربي الى اوربا ، سلسلة مكتبة الدراسات الادبية رقم ٤٧ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٨ ، وغيرها .

والتطور ودراسة الكتب العلمية التي كانت تصدر في الاندلس، ومن هؤلاء الراهب الفرنسي " جربرت دي اورياك " الذي وفد في عهد الحكم المستنصر واهتم بدراسة العلوم الرياضية، واصبح فيما بعد بابا روما باسم البابا سلفتر الثاني (٣٩٠-٣٩٤ هـ) اضافة الى البعثات العلمية ذات الطابع الرسمي حتى بلغت سنة ٣١٢ هـ في عهد الخليفة الناصر سبعمائة طالب وطالبة.

٢- **العقود العلمية:** عهد بعض ملوك اوربا الى استقدام علماء الاندلس لتأسيس المدارس ونشر ألوية العلم والمعرفة، وفي القرن التاسع الميلادي وما بعده وقعت حكومات هولندة وسكسونيا وانكلترا على عقود مع حوالي تسعين من علماء المسلمين ومذتي خبير في مختلف الصناعات لغرض انشاء السفن وصناعة النسيج والزجاج والبناء وفنون الزراعة، وقد اقام بعض المهندسين الاندلسيين اكبر جسر على نهر تايمس في بريطانيا عرف باسم جسر هليشم وهي كلمة محرفة من هشام امير الاندلس الذي اطلق اسمه عن الجسر عرفاناً بفضلهم في ارسال المهندسين^(١).

٣- **الترجمة:** بعد سقوط طليطلة عام ٤٧٨ هـ قامت حركة ترجمة واسعة النطاق لترجمة الكتب اليونانية والرومانية التي ترجمت الى العربية وفقدت نسخها اللاتينية في اوربا، وثبتت شروح وتعليقات المسلمين عليها، ثم نقلت الكتب الفلسفية والفلكية والرياضية والطبية والفلاحة... واسس مطران ريمندو معهداً للترجمة، وعهد الى مترجمي اليهود ترجمة تلك الكتب، واستمرت عمليات الترجمة ولاسيما في عهد الفونسو العاشر الملقب بالعالَم (٦٥٠-٦٨١ هـ) الى عصر النهضة.

٤- **التمازج الاجتماعي:** - كان المجتمع الاندلسي خليطاً من المسلمين والمسيحيين واللغتان العربية والرومانية كانتا متداولتين فيما بينهم، وكثير

^١ تاريخ العرب وحضارتهم : ٤٧٧ .

منهم كان يكتب باللغتين العربية واللاتينية وحسب مقتضيات ذلك التأليف، وان المطران ريمندو لوليو (٦٣٢-٧١٤ هـ) كان يتقن العربية، وأنه تقليداً للمسلمين دأب على استهلال رسائله باسم المسيح (ع) وانه الف كتابه " الكافر والعلماء الثلاثة " بالعربية أولاً ثم ترجمه بنفسه الى القطلونية ومنها ترجمت الى اللغات الاخرى.

٥- التجارة: - كانت الاندلس بوابة شمال افريقيا في نقل البضائع بين العالمين الاسلامي والمسيحي، وكانت التجارة مزدهرة عبر موانئ وانه اندلس، وكانت المرية من اكبر المراكز التجارية في المنطقة، تنقل اليها بضائع الشرق من الهند والصين والشرق الاسلامي وفيها تباع الى تجار الاوربيين ، وكثير منهم كانوا لهم الامام باللغات المتداولة، وكان هنالك عرف في حمايتهم حتى في اوقات الحرب، وقد ساهموا في نقل العلوم المختلفة والحرفيين بين المناطق كافة.

٦- المورسيكيون وتأثيرهم في التمازج الثقافي: - ونقصد بالمورسيكيين المسلمين الذين بقوا في الاندلس بعد سقوطها عام ١٤٩٢م، والمدجنون هم سكان المدن التي سقطت في نهاية الحكم الموحي بعد معركة " العقاب " سنة ٦٠٩ للهجرة مثل قرطبة اشبيلية ومرسية.... اضافة الى مدن التي سقطت في عهد المرابطين مثل سرقسطة ومدينة طليطلة التي سقطت في عهد ملوك الطوائف، واصبحت اللغة القشتالية لغة رسمية للدولة، لذلك اخذ المدجنون والمورسيكيون يؤلف كتبهم وقصائدهم باللغات الاسبانية على وفق بحور وقوافي القصيدة العربية أو على وفق قوالب الشعر الاسباني المعروف بالرماننس، وكان بعضها تقص حياة الرسل والانبياء وتعاليم الاسلام والمدح النبوي، ومن ذلك خمسة الفها ابراهيم البلغادي، وهو

بصير، يشرح فيها عقيدة الاسلام، ووجود الله تعالى وما قاله في ذلك

مترجماً الى العربية: (١)

وحيث اننا نرى في عالم المخلوقات

انه لا فعل بدون فاعل

فمن هذا نفهم بوضوح

ان هذا الكيان الذي نراه

له من غير شك صانع

وكان لهم ادب قصصي في اللغة القشتالية والقتلونية، وروايات شعبية ذات

اصل عربي تتخللها قصص الانبياء وسيرة الرسول الاكرم اضافة الى قصص غزلية

ذات مضامين صوفية وزهدية، وقصص فروسية مورسيكية وكتب علمية مستلة من

الكتب العربية في الطب والنبات والفلك والرياضة... (٢).

أثر الأدب الأندلسي على الأدب الأوربي.

١- الشعر الاوربي:

يأتي الاثر الاكبر على الشعر الاوربي من تأثير الزجل والموشح كما يرى

المستشرق الاسباني "ريبييرا" الذي درس الاغاني الاسبانية ودواوين شعراء

التروبادور وهم الشعراء الجوالون في العصور الوسطى وشعر المنسجر وهم

شعراء الغرام، كما اثبت انتقال بحور الشعر الاندلسي والموسيقى الاندلسية الى

اوربا (٣) وأنه وجد شعرا غنائيا مكتوبا باللاتينية الدارجة في الأندلس الاسلامية، وان

شعراء التروبادور والبروفنسيين قلدوا الوشاحين والزجالين في الاندلس، واعلن

غرسيه غومس عن اكتشافه مخطوطة نفيسة لابن بشري الغرناطي تتضمن أربعاً

١ تاريخ الفكر الاندلسي : ٥٤٩ انخل جنثالث بالنثيا .

٢ للمزيد ينظر : نفسه : ٤٨٥-٥٣٦ .

٣ الفكر الاندلسي : ٥٢٤ .

وعشرين خرجة باللغة اللاتينية، وان شكل القصيدة التروبادورية وأوزانها وقوافيها ولغتها مرتبطة بالموشحات، وان موضوعاتها مثل الكورتوزاية والقصيدة الغزلية والألبا "اغنية الفجر" او الصبوحيات والباستوريلا وشعر الرثاء والشعر الديني فيها نفحات من الموشحات^(١).

وانتشر شعر المروءة بفضل ترجمة كتاب " طوق الحمامة " لابن حزم وما فيه من الدعوة الى العفة والطهارة اضافة الى تأثير كتب المتزهدة والمتصوفة، ومافكرة الحب النبيل التي تسود الغزل في الشعر البروفندسالي إلا صورة من صور الحب العذري في الادب العربي، وان شخصية الفارس النبيل (جنتلمان) في الادبين الانكليزي والفرنسي هي صورة مماثلة للفروسية الموجودة في الادب الاندلسي^(٢) وان سوناتات الادبين الانكليزي والاطالي هي صورة متأثرة بالموشحات.

ويرى احد الباحثين^(٣) ان تأثير الادب الاندلسي لم يكن عابراً او سطحيًا وانما ادى الى نهضة ادبية كبيرة غيرت واقعه الاغريقي المتعلق بالمأساة والملهات التي كانت تكتب باللاتينية وبعيدة عن الشعب الى ادب شعبي وطني تكتب باللغات القومية. وقال انخل جنثالث بالنثيا^(٤) ان اوائل التروبادور الفرنسيين استخدموا القوالب الزجلية الاندلسية وتغنوا بغرامياتهم الجارحة لل دشمة بنفس الحرية و عدم التخرج التي نراها في شعر ابن قزمان ومن ذلك منظومة للشاعر " كونت بواتيه " وتاريخها ١١٠١ للميلاد، وترجمة مطلعها:

إن لي شوقاً في الغناء

ولهذا سأنظم أنشودة أتغنّي فيها بالأمي

ولكنني لن اكونَ عاشقا

^١ الفكر الاندلسي الاسلام والحضارة الاسلامية : ١ : ٣٤٦ ، محمد كرد علي : ٥٢٤ .

^٣ العرب والحضارة الاوربية : ٣٢ ، محمد مفيد الشوباشي .

^٤ الفكر الاندلسي : ٦١٥ .

فانه اتبع نظام الموشحات في التعدد القوافي بين القفل والادوار، ومنه انتشرت القافية المعروفة بدشباك القوافي في الادب الحديث، كما ظل نظام الطراز الشعري ذي الاغصان في صناعة الالحان والمعروفة عندهم بالرونودو، وهي ترجمة للافظ العربي "نوبة" أي نظام تعاقب الفريقين او مفرد ومجموعة على الغناء، وتعد ايطاليا الدولة الثانية في تأثرها بالقوالب الشعرية الاندلسية، وقد بلغ اتصال صقلية بالثقافة الاسلامية اوج الاندماج حتى بعد استردادها سنة ٤٨٤ هـ كما بين لنا ذلك ابن جبير في رحلته

وتوصل الباحث ملياس فاليكروسا وجود موضوعات في الشعر الايطالي تخص الشعر الشعبي الاندلسي، وان الشعر الديني الايطالي المسمى "باللادوس" هو زجل اندلسي صرف أو محور قليلا ومثله البالاتا "المرقصات" وهو شعر في احسن صوره والمدائح المقدسة والمديح الالهية التي كانت تغني في الكنائس صورة للمدائح النبوية وقصائد الزهد التي انتشرت في الاندلس^(١).

بيدما ترى ماريا خيسوس روبيرا متى في حديثها عن قصيدة ابي البقاء الرندي الذي يبكي فيها ضياع المدن الاندلسية الكبرى ويتناول فناء الدول الغابرة التي ترجمت الى الاسبانية والالمانية بداية لظهور الاغنيات الاسبانية ذات الفواصل فيما يسود فيها من توافق واشتراك في الرؤية الفكرية الايدلوجية امام الموت المتصل بموضوع الفناء والعدم^(٢).

وهناك كتاب بعنوان "رباعيات حاج بوي مذنون" وهو لرجل مورسيكي مسلم من قرية على حدود قطلونية، نظم رباعيات في شعر قشتالي يتكون من مقطعات، كل مقطعة تتكون من ثمانية ابيات، يصف رحلته الى الاراضي المقدسة

^١ نفسه : ٦١٩ .

^٢ الادب الاندلسي : ١٤٥ ، ماريا خيسوس .

في الحجاز، ويتناول يوم القيامة والحساب وعن يوم الحشر يقول مترجماً الى العربية^(١):-

هناك رجالاً ونساءً

سنحشر معاً جميعاً

ومن الاعمال الصالحة التي عملناها

سنجزى جزاءً طيباً

ولن ينال احد عقاباً

إلا بحساب عادل

وعلى قدر اعمالنا سيكون الجزاء

علما بان النص القشتالي في هذه المقطعة تنتهي بحرف (س) اللاتيني.

لقد اعتنق عدد من الاسبان الدين الاسلامي، ونظموا قصائد بقوالب شعر

الاغاني الاسبانية التي كانت شائعة في ذلك العصر، ومن ذلك ما نظممه المعلم خوان

الفونسو الذي هاجر الى الجزائر لكي يمارس شعائره بحرية وترجمة مطلعها^(٢):-

ايها الغراب الاسباني الملعون

يا ناشر الوباء، ايها السجان البغيض

ها أنت واقف بروؤوسك الثلاثة

على ابواب الجحيم

وفي موضوع متصل، اشتهر الاندلسي في عصر دولة غرناطة بمقطعات

شعرية في الحكمة والموعظة وقد تطرقنا الى هذا الموضوع في موضوع الحكمة

^١ الفكر الاندلسي : ٥٢٤ .

^٢ نفسه : ٥٢٠ .

والزهد واشرنا الى تحقيقنا لكتب ابن ليون التجيبي (ت ٧٥٠هـ) وانتقل تلك المقطعات وغيرها الى اسبانيا في ايام فرناندو الثالث والفونسو العاشر، ونظمت شعراً وذثراً ومن ذلك كتاب " العلماء الاثني عشر " وكتاب " في الذيل والاخلاص " وكتاب زهور الفلسفة، وهي مجموعة من اقوال مأثورة تنسب الى سنيكا وكتاب " الامثال الطيبة " وهو مجموع من الامثال ترجمت من كتاب " حكم الفلاسفة " لحنين بن اسحاق، وكتاب: نصائح الملك سانشو " هو ترجمة لكتاب " واسطة السلوك في سياسة الملوك " لابن يوسف ملك تلمسان.... وغيرها^(١) وان الكنتيجات ومعناه " الاغاني " بالاسبانية، والمنسوبة الى الفونسو العاشر تتكون من (٤٢٠) قطعة شعرية في مديح العذراء، وقد اظهر ريبيرا ان معظمها من طراز الازجال، وان كانت الخرجة تنظم في بعضها على قافية سابقة و عدد مقطعاتها احياناً تتجاوز اربعة وعشرين بيتاً مما لا نجد لها مثيلاً في الاداب الاوربية الاخرى، ومن المقطعات التي استند عليها ريبيرا في دراسته للموسيقى " انشودة العريبات الثلاثة " التي نجدها في ديوان الشاعر بلاثيو وترجمتها تبين تغلغل التأثير العربي على الشعر الاوربي، وامتداد زمان الوصل بوشائجه الاجتماعية الى مابعد السقوط، منها^(٢): -

عشقت ثلاث فتيات عريبات في جيان

عائشة وفاطمة ومريم

ثلاث عريبات بالغات الجمال

ذهبن يجمعن الزيتون

فوجدنه قد جمع في جيان

عائشة وفاطمة ومريم

^١ الفكر الاندلسي : ٥٧٧ .

^٢ نفسه : ٦٢٧—٦٢٨ .

٢- اثر اللغة العربية على اللغة الاسبانية وغيرها.

دخلت بعض الكلمات مباشرة من العربية الى اللغات الاوربية، ودخل بعضها عن طريق اللغة الاسبانية او اللاتينية التي كانت لغة العلم والادب في تلك العصور، مما يدل على تغلغل الحضارة الاسلامية في اللغة العلمية في اوربا وفي شؤون المعيشة التي تلازم المرء في بيته وفي موطن عمله، وفي جده ولهوه^(١) وهنالك دراسات كثيرة في رصد اثار اللغة العربية في اللغتين الاسبانية والبرتغالية، منها ما قام به فرانثيسكو مارينا سنة ١٨٠٥ حيث احصى الالفاظ القشتالية ذات الاصل العربي، والمعجم اللغوي الذي اعده دوزي وانجلمان بعنوان "معجم الكلمات الاسبانية والبرتغالية المشتقة من العربية" وصدرت سنة ١٨٦١م، والف "ايكيلاث" معجم اشتقاقى للكلمات الاسبانية ذات الاصول الشرقية في سنة ١٨٨٦م ودراسة المستشرق ليفى بروفندسال عن اثر العربية في اللغة الاسبانية وهما في الاصل محاضرات القاها في الجامعة المصرية سنة ١٩٣٨م^(٢) ورأى د. حكمت الاوسي في بحثه التأثير العربي في الثقافة الاسبانية^(٣) واثناء دراسته هناك، ان اللغة الاسبانية وجدت نفسها مضطرة ان تأخذ من اللغة العربية لتستطيع التعبير عن المفاهيم الجديدة والآلات والحرف التي دخلت اوربا، وان هذه التأثيرات ظاهرة في اخلاق القوم وطباعهم وعاداتهم وفي دمائهم وسحناتهم وفي لون بشرتهم ويشير د. عبد الرحمن الحجي ان الاسبان تبنا طواعية بعض العادات الاسلامية كالختان وعدم اكل لحم الخنزير وتسموا بالاسماء الاسلامية^(٤) وان اكثر من اربعة الاف كلمة وتمثل ١٧ % من مفردات اللغة الاسبانية ذات اصل عربي^(٥) منها تركيبات وصيغ لغوية ترجمت حرفياً عن العربية وبعضها حدث فيها التقلاب والتغيير بما يناسب اللفظة الاسبانية

^١ تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس : ٤٨٦ .

^٢ الادب الاندلسي : ٣٥٢ ، منجد .

^٣ التأثير العربي في الثقافة الاسبانية ، سلسلة الموسوعة الصغيرة (١٥٢)

^٤ تاريخ الموسيقى الأندلسية : ١١٢ ، عبد الرحمن الحجي ، دار الارشاد ، بيروت ، ١٩٦٩ .

^٥ فصول في الادب الاندلسي : ١٤٦ .

ومن تلك الالفاظ التي ما تزال مستخدمة في اللغة الاسبانية، المصطلحات المتعلقة بالتنظيمات العسكرية، الفارس، الملازم، الطليعة الساقة والمؤخرة والالفاظ الزراعية من المقاييس والموازين وصيد البحر ومعاجم الذبابة والملابس والاحذية والالات الموسيقية مثل العود والقيثارة والربابة والنقارة... ويشير المستشرق مونتكمري واط^(١) بشكل تفصيلي الى تلك الالفاظ، وان اللغة المالطية اكثر من نصف مفرداتها ذات اصول عربية كما نجد ذلك في اللغات الاوربية الاخرى، مثل كلمة ال كحول في اللغة الانكليزية على سبيل المثال.

٣- اثر القصص الشرقية على القصص الاوربية:

يقول المستشرق رينان " ان اوربا استوردت من العالم الاسلامي قصصه ورواياته وحكمه وامثاله " ويقول جاستون باري: " ترجم عدد من القصص العربية الى الفرنسية والالمانية والايطالية والانكليزية وغيرها من اللغات الاوربية، وتولدت منها سلسلة طويلة من الروايات بل هناك مجموعة كاملة من قصص عربية الاصل انتقلت الى اوربا"^(٢).

ويقول انخل جنثالث بالنثيا: أول ما ذاع في بلاد النصرى اثناء العصور الوسطى من القصص المستقاة من اصول عربية هو كتاب " أدب العلماء " الذي ألفه بدرو الفودسو واصله يهودي من اندلس، اذ ألفه اول مرة بالعربية ثم ترجمه الى اللاتينية بنفسه ثم ترجمت الى اللغات الاخرى، ويورد في الكتاب ثلاثاً وثلاثين اقصوصة شرقية مأخوذة من حكايات دنين بن اسحاق وكليلا ودمنة والسندباد، واستعمل فيها الخرافات والامثال، وعلى غرار ألف عشرات الكتب^(٣) والمجموعة القصصية تصدر عن رجل على فراش الموت يوصي ابناً له ويعظه، ومنهجه شبيه

^١ تأثير الاسلام على اوربا في العصور الوسطى : ٤٢ ، مونتكمري واط ، ترجمة د. عادل نجم عبود ، دار الكتب ، الموصل ، ١٩٨٢ .

^٢ الادب الأندلسي : ٣٦٠ ، د. منجد .

^٣ الفكر الأندلسي : ٥٧٩ .

بكتاب " الامتاع والمؤانسة " لبدیع الزمان الهمذاني وقصص الف ليلة وليلة، لذلك يمكن تصنيف القصص التي تركت أثراً على القصص الاوربية بما يأتي: -

١- القصص الوعظية:

- يعد كتاب كلية ودمنة من أهم الكتب الشرقية التي انتشرت في اوربا، وهي مجموعة من الحكايات الخرافية الهندية، جمعها برزويه طبيب انوشيروان ملك الساسانيين كسرى الاول (٥٣١-٥٧٠م) ونقله الى العربية الاديب عبد الله بن المقفع (ت ١٤٢هـ) ومن العربية نقل الى اكثر من أربعين لغة وهو مجموعة قصصية متصلة بعضها ببعض على السنة الحيوان.

ومنه ألف الأوربيون قصصاً كثيرة مستوحاة منها كمجموعة لافونتين المنشورة سنة ١٦٧٨ وقصص أخرى كثيرة، كما أنهم قاموا بترجمة " رسائل اخوان الصفاء " وهي مجموعة رسائل تتكون من إحدى وخمسين رسالة نشرها آراء هم خلالها وفيها حوار على السنة الحيوان مثل كتاب " مجادلة الحيوانات لبني آدم " ٢- القصص الخرافية:

أ - قصة السندباد: وهي من اصل هندي وانتقلت الى اوربا من غربي اوربا عن طريق الترجمة اليونانية نقلاً عن السريانية وعرف باسم السنتيباس ومنه نقلت " قصة الوزراء العشرة " وحكاية " علماء روما السبعة، وترجمت الى القطلونية شعراً في القرن الخامس عشر وفي سنة ١٢٥٣م ترجمت الى الاسبانية وعرفت بـ " مكائد النساء وحيلهن " وذاعت شهرتها والفت على غرارها عشرات القصص نثراً وشعراً^(١).

ب - قصة الف ليلة وليلة: وهي قصص من اصل هندي ترجمت الى البهلوية بأسم " هزار افسانة " أي الف خرافة او اسطورة وانتقلت الى الادب العربي وغُلِّفتْ باجواء بغدادية ومصرية في العصر الوسيط، وقد ترجمها الى الفرنسية جالان

^١ لمزيد عن هذه القصص ينظر : الفكر الاندلسي : ٥٨٤ .

في أوائل القرن الثامن عشر بينما وصلت مجموعة من قصصها الى اوربا عن طريق الاندلس، وتواترت هذه القصص في سلسلة من الكتب الشعبية، واحتلت مكانة مهمة في تاريخ الادب الاوربي بما يصوره عن الشرق الغامض الساحر، والشرق الذي يزخر بالسحرة والجن والكنوز والمغامرات الرائعة والخيال المفرط^(١) كما ترجمت قصة زياد الكناني التي الفت بعد عصر المرابطين، من قبل فرانسيسكو فرناندو اعتماداً على مخطوطة مكتبة الاسكوريال وعنوانه الكامل " كتاب فيه حديث زياد بن عامر الكناني وما جرى عليه من العجائب والضراب بقصر اللولب وبحيرة العجب " وهي قصص في الفروسية.

٣- قصص الشطارة:

لاقت مقامات الهمذاني والحريري ذيو عاً كبيراً في الاندلس وتناقلها الناس ضمن قصص الصعاليك المعروفة بـ " البيكار سيكي " في الادب الاسباني وهي قصص في العادات والتقاليد للطبقة الدنيا من المجتمع، وذات صبغة هجائية محورها كسب الرزق^(٢).

٤- قصة بوذا:

لم يصل احد الى معرفة الاصول العربية لقصة بوذا التي نشأت عنها فيما بعد قصة " برّ لعام ويواصف " ويقول انخل بالنثيا ان اصل القصة ربما مأخوذة من اليونانية في الكتاب المسمى " ابن الملك والدرويش " الذي كتبه اليهودي البرشلوني ابراهام ابن حسداى في القرن الثالث عشر للميلاد، وربما لها علاقة بترجمة القصص الوعظية التي اشرنا اليها^(٣).

٥- قصة حي بن يقظان لابن طفيل (ت ٥٨١هـ):

^١ للمزيد عن ذلك ينظر : الف ليلة وليلة بين الادبيين العربي والفارسي، محمد غنيمي هلال ،والادب المقارن،فسه: ٣١٧ ، ط١ ، دار العودة ، ١٩٨١ .

^٢ للمزيد ينظر : نفسه : ٢١١ .

^٣ تاريخ الفكر الاندلسي : ٥٨٥ .

وترجمت سنة ١٣١٤م الى العبرية من قبل موسى الار جوني و من ثم الى اللاتينية واللغات الاوربية وتأثيرها واضح في قصة روبنسو كروزو التي ألفها دانيال دي فو وقصة " كريتيكون " لجراسيان، وقصة ابن طفيل قصة فلسفية ادبية لان صاحبها كان شاعراً وطبيباً وفيلسوفاً وفلكياً، وتوصل الى معرفة الخالق من خلال التشريح والتجريب والى اكتشاف العناصر الاربعة للحياة وهي التربة والهواء والنار والماء وخلاصة القصة، وجد طفل رضيع في صندوق تحمله الامواج الى شاطئ جزيرة نائية ويستقر على الارض وقد تصدعت جوانبه، ويتحرك الطفل فتعطف عليه غزالة وتتبناه، ويكبر الطفل شيئاً فشيئاً وكان قوي الملاحظة فيقارن نفسه بالحيوانات ويستر نفسه باوراق الاغصان و من ثم بالجلود ويتوصل الى العصي للدفاع عن نفسه وعندما تموت الغزالة يقوم بتشريح صدرها ويتوصل الى القلب مركز الجسم وإن "الذات " او "الروح " التي خرجت من الغزالة هو سر الحياة ويهتدي ببصيرته الى النار والى بدائع خلق الله و من ثم يتوصل عن طريق المنطق الى وجود الله تعالى، ثم يفد اليه رجل اسمه " أبسال " من جزيرة اخرى وكان ورعاً زاهداً فيعلمه اللغة، ويحدثه عن سكان الجزيرة المجاورة ويذهبان اليها لارشاد الناس دون جدوى ويتفان العودة الى جزيرته والاستغراق في حياة التأمل والعبادة، وهي قصة ادبية فلسفية، تختلف عن قصة شيخه ابن سينا التي تحمل الاسم نفسه بان الاخيرة قصة فلسفية رمزية صرفة تتعلق بالعقل والغرائز كما تختلف عن قصة السهروردي (ت٧٥٨هـ) التي تحمل الاسم نفسه المبني على التصوف ومبادئها.

ودرست قصة حي بن يقظان في مدارس اللاهوت في اوربا، وذهب غرسيه غومس الى أنه عثر على مخطوطة مورسكية تعود الى القرن السادس عشر في مكتبة الاسكوريال بعنوان " قصة الصنم والملك وابذته " مكتوبة بحروف لاتينية ارغونية ضمن قصص كثيرة عن الاسكندر المقدوني^(١)، وهي تشبه قصة حي بن

^١ حي بن يقظان ، لابن سينا وابن طفيل والسهروردي : ١٦ ، تحقيق وتعليق : احمد امين منشورات دار المدى للثقافة والنشر ، ٢٠٠٥ ، الطبعة الاولى صدرت عام ١٩٤٧ .

يقظان من وجوه عدة وتوظيفهما مختلفان والاختيرة فيهما تفصيل عن سبب القاء
الطفل في الصندوق الماء لانه كان ثمرة علاقة غير مشروعة بين أخت الملك وابن
احد وزرائه، وموضوع القاء طفل في صندوق في ماء ورد في قصة موسى (ع) مع
فرعون، وتكمن اهمية قصة حي بن يقظان في حسن توظيفه لبقاء الصبي في
الجزيرة وادراكه العقلي وما دار بينهما من حوار النفس باسلوب ادبي رائع.